مفاخر في تاريخ قم

المكان: طهران

الحضور: أهالي مدينة قم

المناسبة: ذكرى انتفاضة التاسع عشر من شهر دي

الزمان: 1391/10/19ش. 1434/2/25هـ. 2013/01/08م.

بسم الله الرحمن الرحيم

أرحب بجميع الإخوة والأخوات والشباب الأعزاء من مدينة قم، ورجال الدين وطلبة العلوم الدينية المحترمين، والعلماء الأجلّاء الذين غمروا هذه الحسينية مرة أخرى بالحماس والعواطف والمشاعر والتعقل في هذه المناسبة بالغة الأهمية. فقد أحييتم مرة أخرى ذكرى ذلك الحدث العصي على النسيان، ذكرى التاسع عشر من شهر دي [9 كانون الثاني 1978م] الخالد في التاريخ. وأقدّم الشكر للبرنامج الذي تمّ تقديمه والنشيد ذي المضامين الذي أنشده الإخوة والأخوات وردّدوه.

قضية التاسع عشر من دي وإحياء هذه الذكرى ليس مجرد مسألة تكرارية أو نتيجة التعويد، إنما هي قضية أساسية وأصولية. وكذا الحال في ما يتعلق بكل مناسباتنا التاريخية الكبرى.

أوّلاً: سيعرف جيل الشباب الصاعد الذي يتحمّل اليوم مسؤولية الشباب آنذاك، سيعرف الجذور والسوابق التاريخية لحركته من خلال هذا الاستذكار، ويشعر بها. وثانياً سيعرف قدر الجهاد والعناء الذي جرى تحمّله لوصول الشعب الإيراني لما هو عليه اليوم، والصعاب والشدائد التي جرى الصبر عليها، والمخاطر التي واجهها الناس.. هذه أمور ستتبين وتتضح، ويتجلّى أن ما لدى الشعب الإيراني حالياً ليس نعمة جرى الحصول عليها بسهولة، ولا هي بالحدث التصادفي. لقد خاطر الشعب الإيراني وتحمّل الجهود وبذل الأرواح، ووقف بوجه قوى القمع الظالمة الجبّارة لنظام الطاغوت، وأعطى الشهداء والجرحى حتى استطاع إطلاق هذه القافلة العظيمة صاحبة العزيمة والإرادة والوصول بها إلى هنا. هذه هي النقطة الثانية.

والنقطة الثالثة هي: الدرس الذي نستلهمه اليوم. شبابنا الأعزاء لم يشهدوا ذلك اليوم، ولا يعلمون ما الذي حصل في حينها. والذين أدركوا ذلك الزمان يعلمون ما الذي حصل. في ذلك الزمان لم يكن الصمود مقابل القوة الظاهرية المليئة بالغطرسة للنظام الطاغوتي، لم يكن يبدو أمراً يسيراً. لو قيل للكثير من المصلحين ــ أسرى الظواهر ــ إن الشعب الإيراني – ومثاله أهالي مدينة قم – يريدون الصمود والمقاومة أمام النظام الطاغوتي البهلوي والقضاء عليه، لسخروا من

القائل، وقالوا له: وهل هذا ممكن؟ لكنه حصل. الشيء الذي كان يبدو محالاً صار ممكناً وتحقق وكتب له الخلود. هذا درس.

وللشعب الإيراني اليوم أيضاً مبادئه ونداءاته ورسائله الكبرى. سواء لبلده أو للعالم الإسلامي أو لعالم البشرية. وقد اصطفّت أمام الشعب الإيراني الذئاب الجائعة والوحوش المنفلتة وشركات القوة والمال والمجاميع اللاهثة وراء الدنيا والعابدة للدنيا، فهم يصنعون الأسلحة ويصدرونها ويشعلون الحروب، ويديرون منظمة الأمم المتحدة حسب أهوائهم وإرادتهم وكيف ما شاءوا، ويجيشون الجيوش، ويرتكبون الجرائم، ويدعمون الظلم، ويدعمون الصهاينة الغاصبين، ويمارسون الظلم في المجتمع البشري، وبقدرات ظاهرية وقطرسة ظاهرية، من قبيل ما شاهدنا نموذجه في عهد الطاغوت في إيران. واليوم أيضاً هناك من يقول: وهل يمكن الصمود أمام صفوف الأعداء المتراصّة المدجّجة بالسلاح والمال والقوة، ووسائل الإعلام، والاقتصاد والسياسة وكل شيء؟ وهل يمكن العمل أمام كل هذا؟ اليوم أيضاً يطلقون نفس الكلام. هذه تجربة.

نعم، وهذا ليس كلامنا، بل كلام القرآن: إذا خضتم غمار الساحة من أجل الله وصمدتم وقاومتم فإن النصر محتّم. ﴿وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الّذِينَ كَفَرُوا لَوَلّوُا الأَدْبَارَ ثُمَّ لا يَجِدُونَ وَلِيّاً وَلا نَصِيراً. سُنّةَ اللّهِ الّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللّهِ تَبْدِيلا﴾[1]. ليست هذه قضية تتعلق بحروب صدر الإسلام حيث يقول ﴿وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الّذِينَ كَفَرُوا لَوَلّوُا الأَدْبَارَ﴾، إنما هي سنّة الله.

نعم، حينما لا نكون نعلم ما هي قضيتنا ورسالتنا، أو لا نجيد طرحها، أو لا نصبر عليها، أو نتخاذل ونتقاعس وسط الطريق بالوساوس الشيطانية أو وساوس النفس والكسل، فإن الجهاد لن يؤتي ثماره. هذا أمر معلوم وواضح. إنما الكلام عن الحالة التي يقول تعالى عنها: ﴿وَلَيَنْصُرَنّ اللّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾[2]. ولا يمكن التأكيد على شيء بأشدّ من هذا التأكيد. إذا نصرنا الله – نصرة الله بالفكر وباختزان الأفكار الأصيلة، وطرحها بصورة صحيحة في العالم، والصمود عليها، والتدبير لنشرها، وتقبّل الأخطار من أجلها – ﴿وَلَيَنْصُرَنّ اللّهُ﴾ أي أن الله تعالى سيمنّ علينا بالنصر حتماً وقطعاً. هذا هو معنى «لينصرنّ». أي أن الله سينصرنا حتماً وقطعاً. ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللّهِ قِيلاً﴾[3].

وقد جرّب الشعب الإيراني هذه الأمور على الصعيد العملي. إذا صمدتم وقاومتم أيها الشعب العزيز والشباب المقتدر ــ صاحب المعنويات العالية والعزيمة ــ وصبرتم على هذا الدرب الذي

---

[1] سورة الفتح، الآيتان: 22 و23.

[2] سورة الحج، الآية: 40.

[3] سورة النساء، الآية: 122.

تسيرون فيه، فلا ترتابوا في أن كل آمال الشعب الإيراني وطموحاته وشعاراته، لا بخصوص بلده وحسب، بل في ما يتعلق بكل العالم الإسلامي والأمة الإسلامية والمجتمع البشري سوف تتحقق في الوقت المناسب. لكل عمل دورته وزمانه، وسوف تتحقق هذه الآمال والطموحات في وقتها المناسب. الشعب الإيراني سوف يصل إلى المحطة التي يصبو إليها، ويسير من أجل الوصول إليها ويهتمّ بها، والسبيل إلى ذلك هو المقاومة.

عندها ما الذي سيحدث؟ سوف يتغير مسار تاريخ العالم. مسار التاريخ في العالم اليوم هو الظلم والهيمنة وتقبّل الهيمنة. ثمة في العالم أناس مهيمنون، وثمة أناس راضخون للهيمنة. إذا كانت كلمتكم أيها الشعب الإيراني هي السائدة، وإذا استطعتم الانتصار والوصول إلى تلك المحطة الموعودة، عندئذٍ سيتغير مسار التاريخ، وتتمهّد الأرضية لظهور ولي الأمر الإمام صاحب العصر والزمان (أرواحنا فداه)، ويدخل العالم في مرحلة وطور جديد. وهذا يعود لعزيمتنا اليوم أنا وأنتم، ولمعرفتنا أنا وأنتم في الوقت الراهن.

من أجل أن يربط الله تعالى على القلوب في ما يخصّ تحقق الوعود المستقبلية، نراه يحقق بعض هذه الوعود على المدى القصير. لقد أوحى الله تعالى إلى أمّ موسى: «فألقيه في اليمّ». ثم قال: ﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾[4]. وعدها الله تعالى وعدين: ألقي الطفل في النهر ولا تقلقي فإنا رادّوه إليك، وسنختاره لمقام النبوّة والرسالة. وقد كانت تلك النبوة ما ينتظره بنو إسرائيل لسنين طويلة قد تصل ربما لعدة قرون. ثم عندما عاد النبي موسى لأحضان أمّه في قصر فرعون، قال الله تعالى: ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾[5]. حققنا لها هذا الوعد الأول فرددناه إليها لتعلم أن وعد الله حق، وأن الوعد الثاني أيضاً سيتحقق.

وهكذا تعامل الله تعالى مع الشعب الإيراني. حقق له الكثير من الوعود، وحصلت أحداث وإنجازات كبيرة. أيها الشباب الأعزاء، اعلموا أنه لم يكن أحد يومذاك ليصدّق إمكانية زعزعة النظام الطاغوتي الملكي، ناهيك عن أن يريد المرء القضاء عليه. وتلاحظون اليوم أن النظام الطاغوتي مبغوض في العالم الإسلامي أكثر من معظم الأنظمة. وقد أزيل تماماً من إيران، وألقي ــ كما يقال ــ في مزبلة التاريخ. لو قيل يومها إن إيران يمكن أن تخرج من تحت السيطرة الأمريكية، فإن المطلعين على أمور البلاد كانوا سيقولون إن هذا الشيء غير ممكن يقيناً وإطلاقاً. كل أمور البلاد وسياساتها كانت في أيدي الأمريكان. أحياناً كانوا يتدخلون حتى في التفاصيل: من يكون وزير الوزارة الفلانية ومن لا يكون، وسعر النفط يرتفع كذا ولا يرتفع كذا. بمثل هذه

---

[4] سورة القصص، الآية: 7.

[5] سورة القصص، الآية: 13.

الهيمنة التي كانت للأمريكان وكذلك لسائر الأوباش في العالم على بلادنا وشعبنا ومصادرنا وسمعتنا، من كان يصدّق أن هذه الهيمنة ستزول؟ واليوم ترون أنه لو أريد ذكر شعب مستقل عن السياسات الأمريكية والاستكبار الأمريكي وغير الأمريكي، فإن اسم الشعب الإيراني هو الذي يذكر. الشعوب الأخرى تنظر لأمريكا ويتملكها الحماس من هذا الصمود وهذه الصراحة وهذه الشجاعة والاستقامة التي يبديها الشعب الإيراني.

تعاضد كل العالم الاستكباري والدول الاستكبارية عسى أن يستطيعوا فرض الحظر على الشعب الإيراني، لينهكوا قواه. وقد قالوا هم أنفسهم إننا أردنا دفع الشعب لمواجهة نظام الجمهورية الإسلامية، ليغير هذا النظام حساباته! هذا ما يقولونه اليوم بصراحة. وفي البداية حينما كنا نحلل الأمور لم يكونوا يقولون هذا بهذه الصراحة، لكنهم الآن يقولونه. وكانت النتيجة ما تلاحظونه، وهو أن ميول الشعب الإيراني لمباني الإسلام والثورة والصمود والعزة، التي منحها الله تعالى لهذا البلد، تزداد يوماً بعد يوم. وهذا على الضد تماماً مما أرادوه.

هذه دروس كبيرة أعطاها الله تعالى لنا. ومن هذه الدروس يوم التاسع عشر من شهر دي، وهو مفخرة لكم أنتم أهالي قم. وطبعاً ليست هذه هي المفخرة الوحيدة لقم، فهناك الكثير من المفاخر في تاريخ قم. خلال الأعوام التسعين أو المائة الأخيرة تفجّرت من قم الكثير من الينابيع العذبة. القمّيون هم الذين احتضنوا المرحوم الحاج الشيخ (رضوان الله عليه) بأذرع مفتوحة، وجاءوا به إلى مدينتهم وتشكلت هذه الحوزة العظيمة. هذه التربية الإلهية وغير المتوقعة التي حصلت في هذه الحوزة كانت ببركة همم أهالي قم. الحوزة التي أنجبت شخصاً مثل إمامنا الخميني الجليل، فوقع مثل هذا الحدث العظيم في العالم، ويجب عدم القول إنه حدث عظيم في بلادنا. في أحداث عام: **42** وفي أحداث عام **41**هـ.ش وفي أحداث الثورة وفترة الحرب المفروضة كان لقم وجه مشرق متميز كبير، ونتمنى أن يبقى الأمر هكذا دائماً.

وأذكر لكم يا شباب قم الأعزاء نقطة مهمة في هذه المسيرة وهي: أن يراقب الإنسان بوعي ودقة تحركات العدو ويتفرّس فيها ويكتشف أهداف العدو. هذا شيء على جانب كبير من الأهمية. في النزال الشخصي والدفاع الشخصي مقابل منافس معين، إذا استطعتم تخمين حركاته فلن تنالكم منه أية ضربة. وإذا غفلتم لحظة وفقدتم تركيزكم وانشغلتم بشيء آخر، ولم تستطيعوا تخمين ما يريد أن يفعله المنافس، فسوف تتلقون الضربة بالتأكيد. فالعدو ليس بنائم. إنه صاح: «وإن أخا الحرب الأرق، ومن نام لم ينم عنه»[6]. إذا غفلتم فهذا لا يعني أن العدو في مقابلكم قد غفل أيضاً، فقد يكون متنبّهاً ويسدّد الضربات. إذاً، ينبغي أن يكون هناك تنبّه ووعي وتركيز. وهذا هو

[6] نهج البلاغة، الكتاب رقم: 62.

سبب تأكيداتنا المتكرّرة وتوصياتنا المؤكدة للمسؤولين والجماهير بأن لا تشغلوا أنفسكم بالأمور الفرعية. وهذا هو سبب توصياتنا المكررة للصحافة ووسائل الإعلام والجرائد، والمواقع الألكترونية الشائعة اليوم بعدم الخوض في هذا الكلام والأمور غير الصحيحة التي تشغل أذهان الناس.

على الشعب أن يكون واعياً متنبّهاً ويعلم أين يضع أقدامه من الأرض – وهذا هو معنى التقوى الجمعية – ويعلم ما الذي يريد أن يفعله، ويحذر من المواطن التي قد يتلقى منها الضربات. وفي الأعمال الفردية أيضاً إذا تحلينا بالتقوى فسوف نراقب أعمالنا ونراقب أنفسنا، ولا نضع أقدامنا في المتزلقات والمواضع التي يخشى أن يسقط الإنسان فيها. هذا شيء لازم وضروري.

ما أراه اليوم – وهو ما تدلّ عليه تحركات العدو – هو إنه رغم وجود نحو خمسة أشهر تفصلنا عن الانتخابات فإن ذهن عدوّنا متركز على انتخاباتنا. الانتخابات التي ستقام في شهر خرداد المقبل مهمة بالنسبة لنا، وهي مهمة بالنسبة للعدو أيضاً. فذهنه متركز على هذه الانتخابات. لو استطاعوا لفعلوا ما يحول دون إقامة الانتخابات أصلاً. لكن هذا غير ميسور ولا مقدور بالنسبة لهم. وهم يائسون من أن يستطيعوا القيام بمثل هذا. ذات مرة حاول البعض تأجيل انتخابات مجلس الشورى الإسلامي، بل قالوا لنا: لتؤجّل الانتخابات أسبوعين إن أمكن. فقلنا: غير ممكن، ويجب إقامة الانتخابات في يومها من دون تأخير حتى ليوم واحد. فلم يستطيعوا فعل شيء. لقد جرّبوا ذلك ويعلمون أن الانتخابات ليست مما يؤجّل. لذلك يبحثون عن طرق أخرى.

من الأهداف أن تقام الانتخابات من دون مشاركة حماسية شاملة للشعب. وليعلم الجميع من الآن: الذين قد يدلون بتوصيات عامة حول الانتخابات من منطلق الإخلاص، ويقولون لتكن الانتخابات كذا ولا تكون كذا، ليتنبّهوا ويحذروا من أن يساعدوا العدو في تحقيق هدفه هذا. يجب أن لا يبثوا اليأس في نفوس الناس من الانتخابات، ولا يكرّروا القول: بأن الانتخابات يجب أن تكون حرّة. واضح أن الانتخابات يجب أن تكون حرّة. كان لنا منذ بداية الثورة وإلى الآن أكثر من ثلاثين انتخابات، أيها كانت غير حرّة؟ في أي بلد آخر تقام الانتخابات بحرية أكثر من إيران؟ وفي أي بلد لا ينظر في المؤهّلات، حتى راحوا هنا يشدّدون على هذه الأمور ويؤكدون ويقولون دوماً ويكررون ويخلقون تدريجياً ــ حسب ظنهم ــ ذهنية لدى الجماهير بأن هذه الانتخابات لا جدوى منها؟ هذا مما يريده العدو. الذين يطلقون في الداخل مثل هذا الكلام قد يكونوا غافلين، وأقول: إنهم يجب أن لا يغفلوا، وليتنبّهوا ويحذروا من أن يستكملوا مشاريع العدو ويحققوا أهدافه. هذه من أساليب سلب الحماس والملحمية من الانتخابات.

القضية الأخرى هي: أن يقال للناس ويلقنوهم بأن الانتخابات تفتقر للنزاهة اللازمة. وبالطبع فإني أؤكد بدوري على أن الانتخابات يجب أن تقام بنزاهة، لكن لهذا الأمر طريقته. في الجمهورية الإسلامية وفي قوانيننا، تمّ تقدير طرق قانونية جيدة جداً لصيانة نزاهة الانتخابات. وبالطبع إذا أراد بعض الأفراد الدخول من طرق غير قانونية فإن هذا سيؤدي للإضرار بالبلد، كما أنهم دخلوا في سنة **88** من طرق غير قانونية وحمّلوا البلد تكاليف وأضراراً، وخلقوا مشاكل للناس، وجلبوا على أنفسهم دواعي البؤس والخيبة في الأرض والملأ الأعلى. ثمة طرق قانونية جيدة. نعم، أنا أيضاً أصرّ على إقامة الانتخابات بمنتهى النزاهة والأمانة. على المسؤولين الحكوميين وغير الحكوميين العاملين في أمور الانتخابات والمسؤولين عنها أن يعملوا طبقاً للقانون وبكامل الدقة وبمراعاة منتهى التقوى والنزاهة، حتى تكون الانتخابات نزيهة، وهذا ما سيحصل بالتأكيد.

ومن أساليبهم أيضاً أن يحاولوا إشغال الناس في أيام الانتخابات بشيء آخر، كأن يختلقوا حدثاً أو أموراً سياسية أو اقتصادية أو أمنية. وهذا بالطبع من مخططات العدو، لكنني واثق من أن الشعب الإيراني أكثر بصيرة ويقظة بكثير من أن ينخدع بهذه الحيل العدوانية من العدو أو عملاء العدو. ستكون الانتخابات بإذن الله وحوله وقوّته وفضله انتخابات جيدة وحماسية.

بالطبع، لدي الكثير مما أقوله حول الانتخابات. وإذا امتدّ بنا العمر فسأعاود الحديث عن الانتخابات في المستقبل. ثمة توصيات وكلام ونقاط، لكنني أكتفي هنا بهذا القدر. تنبّهوا إلى أن الانتخابات حق وواجب. كل واحد منّا باعتباره أحد أفراد هذا الشعب من حقنا المشاركة في الانتخابات، ومن واجبنا أيضاً المشاركة فيها. الذين يؤمنون بنظام الجمهورية الإسلامية، وبدستور البلاد يريدون التمتع بهذا الحق، ويريدون في الوقت نفسه أداء هذا الواجب. على الكل أن يؤدوا هذا الواجب. أحدهم واجبه أن يعرض مؤهّلاته للشعب ولانتخاب الشعب. كل من يشعر في نفسه بأهلية ويكون متمكناً من العمل التنفيذي يتقدم ويرشح نفسه لينتخبه الناس. إدارة البلاد والعمل التنفيذي ليس بالعمل الصغير. الأعمال الكبيرة والأعباء الثقيلة تقع على عاتق التنفيذيين في المستويات العليا. والذين يعملون في مستويات ومواقع أخرى قد لا يعرف بعضهم أبعاد هذه الأعباء الثقيلة وإلى أي درجة هي ثقيلة. الذين يخوضون هذه الساحة يجب أن يكونوا ممن يرون في أنفسهم القدرة على حمل هذه الأعباء. ويجب أن يلاحظوا في أنفسهم المؤهّلات المذكورة في الدستور، والتي يعتمدها مجلس صيانة الدستور المحترم، ويكونوا بحق مرتبطين بالنظام والدستور ومحبّين لهما، ويريدون تطبيق الدستور، فرئيس الجمهورية يقسم اليمين بأن يطبّق الدستور وينفذه، ولا يمكن القسم كذباً. الذين يشعرون بمثل هذا الشعور فليخوضوا غمار هذه الساحة. والذين لا

يعتزمون المشاركة في هذا المجال ليشاركوا في عملية الانتخاب ويساعدوا على إقامة الانتخابات بمزيد من الحماس والاندفاع.

وأقولها لكم: بالثقة التي لدينا بالوعود الإلهية – والوعود الإلهية حق وصدق – فإن الله تعالى سينصر هذا الشعب في هذا الطور وفي كل الأطوار المستقبلية على أعدائه. نشكر الله على أن لم يجعلنا سيّئي الظن به، ﴿الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ﴾[7]. إن لدينا حسن ظننا وثقتنا بالوعود الإلهية. من جهة نرى الله تعالى قد وعد بالنصر، ومن جهة يلاحظ المرء هؤلاء الناس ومشاركتهم ورغبتهم وهمّتهم، وإخلاص هؤلاء الشباب وطهرهم، والآباء والأمهات المؤمنين المتدينين المندفعين على مستوى البلاد، ومن جميع الشرائح، وبكل الأشكال والمظاهر، يلاحظ المرء أن هذا الشعب شعب متواجد في الساحة والحمد لله.

نسأل الله تعالى أن يمنّ عليكم أهالي قم الأعزاء وعلى الحوزة العلمية المبجّلة في قم بالرحمة واللطف والتوفيق والعافية. وأن يحشر الروح المطهرة لإمامنا الخميني الجليل الذي فتح لنا هذا الطريق مع أوليائه. وأن يشمل برحمته وبركاته وفيضه أرواح شهدائنا الأبرار الطيبة الذين ضحوا في هذا السبيل، وكذلك كل مجاهدي طريق الحق، ويثبّت أقدامنا على هذا السبيل.

والسّلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته.

[7] سورة الفتح، الآية: 6 .